القبائل الفلانية ببلاد السودان الغربي
التسمية والأصل

أ.م.د نعيمة الطيب بوجمعة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

جامعة ابن خلدون / تيارت

م.د أزهار غازي مطر

كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى

الملخص :

إن السودان الغربي يجمع فوق أراضيه العديد من القبائل الإفريقية ، التي استقرت به بعد هجرات متعددة عبر فترات تاريخية مختلفة نتيجة لعوامل معينة ، وتختلف هذه القبائل عن بعضها البعض من حيث التأثير والانتشار ، ومن أهمها قبائل الفولاني التي تنفرد عن غيرها من القبائل من حيث الأهمية والمكانة ، ولقد اختلف آراء المؤرخين حول أصلها فكانت آراء متعددة ، كما اختلفت في نفس الوقت كيفية كتابة "تسمية الفولاني".

The western Sudan bulking up its territory from African tribes that settled after multiple migrations across different historical periods as a result of certain factors and these factors differ from each other in terms of impact and spread, and the most important of the Fulani tribes that are unique from other tribes in terms of importance and prestige and on the origins of the word I disagreed were there are different opinions

أولا: رسم تسمية الفلاني في الكتابات التاريخية

١- رسم التسمية في الكتابة المحلية:

أطلقت قبائل الفلاني على نفسها تسمية "اليرم" (Yaram) – تعني العرب – فبعد انتشار الإسلام بمنطقة حوض السنغال أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية ، والتي تدل على كثرة أعدادهم[١] . ووردت كتابة تسمية الفولاني في كتاب "إنفاق الميسور" بصيغة "الفلانية"[٢]. ويطلق الفولانيون على أنفسهم أيضا تسمية "الفولبي" (Foulbé) و"الفلاني .

٢- رسم التسمية في الكتابات العربية:

وجاءت كتابة تسمية الفلان لدى كل من المقريزي وعبد الرحمن السعدي بـ"الفلانية" وجمعها الفلانيين"[٣] ، وهي نفس الكتابة التي تناقلتها جل المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية فيما بعد.

٣- رسم التسمية لدى القبائل البربرية والإفريقية:

أ- قبائل الطوارق :

يسمونهم بـ"أفولي" (Afouli) التي تعني الفلان ، وللمفرد يقال "إفولن" (Ifoulan) ، وللجمع "إفلان" (Ifelan) ، ووردت تسميتهم لدى البيضان بـ"فولاني" (Foullani) للمفرد، و"فولانية" (Foulania) للدلالة على الجمع .

ب- قبائل الماندي :

أطلقوا عليهم تسمية "فولة" (Foula) أو "فولا" (Foulah)، فيقال بلغة الماندي للمفرد المذكر "فولة" وللجمع "فولو" (Foul-ou)، وللمفرد المؤنث "فيلة" (Fila)، وللجمع "فيلو" (Fila-ou).

ج- قبائل الهوسا[٤] :

يسمونهم بـ"بفيلالتشي" (Bafilaltché) ، وللمفرد يقال "فولاني" (Foulani) ، وللجمع يقال "فولاو" (Foulaoua)[٥] .

د- قبائل الكانوري :

يذكرونهم باسم "فلاتة" (Fellata) أو "فيلالة" (Fillala) وهي التسمية المنتشرة بالسودان الشرقي إلى جانب تسمية "الفلاليلت والفلاتنغا" ، ويرى التونسي أن اللفظ الأصح هو "فلاتا" بالألف الممدودة[٦] .

هـ- قبائل الموسي:

يذكروهم باسم "سليميغا" (Silmiga) ، وللمفرد "سيليميزي" (Silmisi) ، وللجمع "سيليميزي"(Silmésé)[٧].

٤- رسم التسمية في الكتابات الغربية :

لقد زار بلاد السودان الغربي مجموعة من المؤرخين والرحالة والجغرافيين الأوروبيين خلال الفترة الممتدة ما بين القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، بهدف دراسة المجتمعات القبلية الإفريقية لأجل معرفة خبايا المنطقة، فقاموا بجملة من الأبحاث العلمية منها دراسات اجتماعية وإثنية لهذه القبائل ، كقبيلة الفلاني والتي أطلقوا عليها مجموعة من التسميات فكانت:

زار المؤرخ البرتغالي جو دي باراس (Jeo de BARRAS) إفريقيا الغربية لوضع دراسة حول القبائل الإفريقية بالمنطقة ، وذلك خلال القرن ١٦م ، فوردت قبائل الفلان باسم "فولو" (Fullos) . وذكرهم المؤرخ مور (MORRE) في القرن ١٨م باسم "فول" (Foulis)، و"فولي" (Pholeys) سنة ١٨٢٩م. والمؤرخ ريني كايي (١٨٢٩م) (René CAILLIE) يذكرهم دائما بتسمية "فوله" (Foulahs) ، أما الجغرافي دفزاك (D'AVEZAK) يذكرهم باسم "فِلان" (Felans)، وهو ما اعتمده المؤرخ كلابوتون (La KLAPPETLON) سنة ١٨٢٥م . أما الإخوة لاندر (LANDER) سنة ١٨٣٠م أطلقوا عليهم تسمية "فوله" (Foulahs) و"فولاني" (Foulanies) . وحسب ديشتال (Déchtal) ١٨٤٢م سماهم "فول" Foul و"بول"(Peul) في المفرد ، أما في الجمع فيذكرهم بـ : "فولان" (Felans) و(Fellans) ، و"فولانيز" Felanises، و"فولاني" (Foulanies)[٨] . ويعتبر الرحالة الألماني بارث (BARTH) (١٨٥٠-١٨٥٥م) أول من ناقش معنى مسألة تسمية الفلان، فذكر بأن تسمية "بول" PEUL تعني صفة "الأسمر الفاتح-أحمر" ، وهي عكس تسمية "الولوف" التي تعني "الأسود"، للدلالة على المفرد المذكر يقال "بول" (PEUL)، وللمفرد المؤنث يقال "بيلو" (Pulo) ، وللجمع "بولبي" (Pul-b)، والتسمية الصحيحة في نظره هي المفرد "بِيلو" Pullo وفي الجمع "بولبي" Pulbé.

كما أطلق المعمرون الفرنسيون في مستعمراتهم بإفريقيا الفرنسية على الفلان اسم "بولو" (Poullo) للمذكر و"بُولوت" (Poulotte) للمؤنث ، وهذه التسمية مشتقة من اللهجة الفرنسية العامية. أما اسم "بول" (Peul) أو "بوهل" (Peuhl) فأخذوه عن قبائل الولوف ، ولكنهم يفضلون استعمال تسمية "بول" (Poul) أو "فول" (Foul)[٩].

ثانيا: أصل القبائل الفولانية:

تعتبر مسألة أصل الفلاني من المسائل الشائكة والمثيرة للاهتمام خاصة للمهتمين بالتاريخ الإفريقي، فمن المهم معرفة أصول هؤلاء المحاربين الرعاة الذين كان لهم دور هام في تاريخ المنطقة من السنغال إلى غاية الكاميرون ، فقد وردت العديد من النظريات والروايات حول أصولهم التاريخية، منها الرواية المحلية التي تبناها أصحاب المنطقة والرواية العربية والرواية الغربية إضافة لرواية علماء الأجناس واللغات ، وهذا ما سنحاول استعراضه في هذه الجزئية من البحث.

١- الرواية المحلية:

جعل الفولانيون لأنفسهم مرة أصلا عربيا لأن الانتماء للنسب العربي كان شرفا لصاحبه في تلك الفترة، كما أنهم ادعوا النسب العربي–اليهودي أيضا ، ومرة النسب العربي–الزنجي أو خليط من البيضان والسود . وحسب رواية محمد بلو فهم "فلاتة توردبي" (Tourdbi) انتسابا لجدتهم صفية بنت جعفر بن أبي طالب[١٠] . وجمع المؤرخ مادغول (Madrelle) في تقريره الذي دونه بعد زيارته لمنطقة فوتا جالون سنة ١٨٩٢م ، الروايات المحلية التي انتقاها عن سكان المنطقة جاء فيها : " أن شخصا يدعى أبا ذر الغفاري من صحابة الرسول صلي الله عليه وسلم سار بجماعة من أصحابه إلى النيجر والسنغال لأجل نشر الإسلام، فقدم إلى فوتا تور[١١] أين وجدها مأهولة بقبائل الولوف فنشر الإسلام بينهم وبين القبائل الأخرى، وتزوج واحد من أتباعه بابنة ملك فوتا تور[١٢] ، فكان هو بيضاني يتكلم العربية وزوجته سوداء تتكلم لهجة "واكوري" أو "ماندي" فأنجبت منه أربعة أولاد بقي ثالثهم أبكما إلى نطق ذات يوم عندما حاول إسكات أخيه الرضيع ذو الثمانية أشهر عندما بكى ، فكانت كلماته الأولى بلغة جديدة وهي اللغة الفولبي وأصبحت لغة الفلان ، فرأى فيه والده الصلاح والمؤسس لشعب جديد بين قبائل السودان الغربي، فلما شبّ الطفل علم إخوته الثلاث لغته الجديدة، واتجهوا نحو منطقة بعيدة عن تمبكتو أين أسسوا نواة شعبهم الجديد وبعد سنوات افترق الإخوة فاستقر الأخوان الكبيران بمنطقة بماسينا ، والأخ الثالث اتجه إلى فوتا ديالو أين توجد قبائل الصوصو ولاندومان (Landouman) ، أما الأخ الأصغر فأصبح حاكما للمنطقة الممتدة مابين النيجر الأوسط والتشاد مهد قبائل الفولان"[١٣].

هذه الأسطورة التي يتناقلها سكان فوتا تورو عن أصل قبائل الفلان تخلص إلى أنهم مزيج من الولوف والعرب لإضفاء طابع الشرف على أصلهم . ونفس الرواية يذكرها المؤرخ أندري أرسان (André Arcin) وتختلف عن رواية مادغول في نقطتين: أن أب الفلان إما عربي أو من البيضان ، والنقطة الثانية أنه ليس فقط الفلان من نسل البيضان أو العرب بل كافة الشعوب السوداء ، ورواية أخرى تذكر بأن الفولان هم من أحفاد فلو بن حمير بمعنى أن للفلاني أصل عربي حميري.

وأورد موريس دولافوس رواية نقلها عن سكان فوتا جالون مفادها أن عائلات عربية قدمت من منطقة فاس إلى منطقة ديوكا (Dioka) بماسينا بزعامة شيخين سيدي وسيري

(Séré) وعند وصولهما إلى ديوكا استقبلا من قبل الحاج ساحلو سواري (Souari) زعيم قبيلة السولينكي فأشار عليهم بالاستقرار بمنطقة فوتا جالون ، وأصبحا فيما بعد مالكين للمنطقة، وعنهما انحدرت عائلات "سيدينكي" (Sidianké) و"سيرينكي" (Sirianké) الفولانية . والصحيح في هذه الرواية أنه بالفعل هاجرت جماعات من الفلان من ماسينا إلى فوتا جالون سنة ١٦٩٤م ، أما ما يحتاج للتدقيق هو كون هؤلاء الفلان عرب مغاربة فاسيين قدموا إلى منطقة ماسينا وهذا لإثبات النسب العربي لقبائل الفولان[١٤].

كما أورد دولافوس رواية محلية أخرى ترجع أصول الفلاني إلى منطقة سيناء حيث يرجع أصل الفلان إلى أحد أجدادهم القادم من هذه المنطقة ، وحسب هذه الرواية فإنه في فترة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أرسل عمرو بن العاص على رأس جيش لأجل نشر الإسلام بين يهود سيناء ومصر، فنزل عمرو بطور سيناء حيث كان قسم من الجيش تحت قيادة عقبة بن ياسر الذي تمكن من إدخال غالبية يهود سيناء للإسلام ومن رفض منهم قتل.

وبعد رجوع عمرو بن العاص توقف بسيناء أين قدم التقرير الذي أعده عقبة بن ياسر لملك طور ، واتفق معه على ترك معلمين ليفقهوا المسلمين الجدد أمور دينهم ، فبقي عقبة بن ياسر بسيناء أين تزوج بتادوما (Tadiouma) ابنة ملك طور فأنجبت له أربعة أبناء ثلاث أولاد وبنت ، ومنهم انحدرت القبائل الأربع الرئيسة التي انحدر منها باقي قبائل الفلان . حسب هذه الرواية المحلية فإن الفلان ذوي أصل عربي يهودي ، فهي ترتكز على تسمية فوتا تور المشتقة من تسمية طور سيناء وعلى أساسها تكونت هذه الرواية . كما توجد خمس روايات مشابهة لهذه الرواية جمعت كلها بمناطق فوتا جالون وأدامو ، وباغيرمي ، وسكوتو وفومبو (Goumbou) . وحُرّف اسم عقبة ليصبح "عوقوبه" (Oukouba) ، "ياكوبا" (Yakouba) ، و"عقبة بن أمير" و"عقوباة" (Oukoubata) ، وذلك حسب اللهجات الإفريقية ، أما عن حياته فالمادة المصدرية غير متوفرة[١٥].

وحسب رواية محلية أخرى فإن نسب الفلان يرجع إلى يعقوب بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم وإلى سليمان حيث ذهب يعقوب إلى بلاد كنعان من طور سيناء ، أما سليمان فذهب إلى بلاد الشام أين كان النبي يوسف (عليه السلام) يحكم مصر ، وأبناؤهما نشأ منهم الفلان ودخلوا كلهم تحت تسمية "بني إسرائيل" الذين اضطهدهم

فرعون فهربوا إلى مصر ، جماعة منهم عبرت نهر النيل بقيادة حفيدي يوسف وسليمان واتجهوا بعد وفاة زعيميهما إلى برقة وسميوا بـ"فود" (Foudh) و"فوت" (Fouth).

والمجموعة الثانية اتجهت إلى توات والثالثة إلى برنو وواحات الآير باتجاه ماسينا أين استقبلوا من طرف قبائل السولينكي، فكان هؤلاء هم اليهود السوريين الذين انحدر منهم الفلان[١٦] الذين جعلوا لأنفسهم نسبا يرقى إلى سيدنا يوسف وسليمان عليهما السلام وهذا قبل القرن ١٥ ق.م ، ورواية أخرى ترى أنهم ينحدرون من أحد أبناء حام وهو "إيلو فلاقي" (Ilo-Falagui).

رواية الخاسونكي :

يذكرون أن رجلا يدعى "أوبوبي ليسي" (Oubobi Lissi) –تحريف لاسم عقبة بن ياسر– كان قائدا في جيش الرسول صلى الله عليه وسلم ، وامتنع ذات مرة عن دفع الغنيمة فلعنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وأبناؤه ، فذهب إلى تمبكتو وحينها بلغه خبر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ندم على ما اقترف فجمع أبناءه الأربعة من زوجاته الأربع وأصبحوا هم زعماء الأسر الأربعة المكونة لقبائل الفلان[١٧] . تجدر الإشارة أن هذه الرواية غير صحيحة وذلك لأن هذه الحادثة لم تحدث في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ لا نجد لها ذكرا في كتب السيرة أو كتب التاريخ الإسلامي.

رواية الأفارقة السود :

وهي التي يتناقلها السونينكي بينهم ومفادها أن سكان اليمن الحمر قدموا إلى إفريقيا الغربية تحديدا إلى حوض نيورو أين أسسوا إمبراطورية غانة ، فزوّج كياماڤا جيابي (Kaymaga Djiabi) ابنته لعقبة بن ياسر واستقر هذا الأخير باليمن وأحفاده هم الفلان ، وكلمة "الفلان" تعنى بلغة السوننكي "الرجال الحمر" ، ثم ترك عوقوبة –عقبة بن ياسر– اليمن مع زوجته وعاد إلى غانو أين أنجبت له أربعة أولاد هم "ديالو" (Diallo) ، "دياكيتي" (Diakité) ، "سيدبي" (Sidibé) ، و"سنغاري" (Sangaré) الذين وضعوا لأنفسهم لغة جديدة تختلف عن اللغة العربية وعن لغة السوننكي ، وقرر بعدها عوقوبة الرجوع إلى اليمن وترك زوجته مع خادمه "ديوا" (Diaoua) وأخبرها بأنه في حال عدم عودته فعليها أن تتزوج بخادمه "ديوا" ، وهو ما حدث فأنجبت منه ولدا اسمه "دابي" (Dabi) جدّ أول طبقة اجتماعية للفلان وهي "ديافوندو" (Diavandos)[١٨] . في حين اتجه أولاد عوقبة الأربعة إلى مكة رغبة منهم في قطع رؤوسهم للقاء النبي عليه السلام

في الجنة فتأكد أهل مكة من حسن إسلامهم، فرجعوا بعدها إلى السودان الغربي أين استقروا بنارا أو ڤومبوا (Goumbou) أين ألتحق بهم زوج أمهم مع ديافوندو[١٩] . هذه الرواية تجعل من الفلان أحفاد عقبة بن نافع الذي تزوج ابنة ملك السوننكي وأنجب منها أربعة أولاد هم أصل الفلان، فهم أثيوبيين أو كوشيون من شبه الجزيرة العربية ذوي بشرة حمراء.

من خلال هذه الروايات نرى أن الفلان يجعلون لأنفسهم مرة نسباً عربياً قحاً ومرة نسباً يهودياً خالصاً ، ومرة خليط مابين اليهود والعرب أي (يهود–عرب) ، ومرة أخرى خليطا ما بين البيضان والسود ، ومنهم من جعل نسبهم ينحدر من شام عن طريق إيلو أو إيلو فلاڤي ، فيعطون بذلك لأنفسهم نسبا أثيوبيا ، فتعددت بهذا الروايات المحلية عن أصل قبائل الفلان ، وما ذكر هو جمع لأهم وأشهر الروايات المتداولة ما بين القبائل الفولانية والإفريقية .

٢– الرواية العربية:

يرى المؤرخ محمد سمبو الكلوي أن أصول الفلان ترجع إلى قبيلتي تميم وجهينة اليمنيتين، اللتان هاجرتا من شبه الجزيرة العربية إلى الهند عقب فتنة بختنصر[٢٠] ، وعادتا مرة أخرى إلى الجزيرة العربية بعد انتهاء الفتنة ، وكان مع تميم الأبقار والسيوف ومع جهينة الغنم، ولقلة المراعي واصلت القبيلتان هجرتهما نحو إفريقيا حيث تتوفر المراعي الخصبة ، فسلكت تميم طريق الشام إلى صحراء سيناء أين استقرت بها فترة من الزمن ، ثم واصلت هجرتها إلى غاية منطقة ليبي (Leepi) ليبيا[٢١] ، ثم لحقتها قبيلة جهينة سالكة طريق اليمن فوصلت إلى منطقة ليبي ثم انطلقت نحو الجنوب ، في الوقت الذي واصلت فيه قبيلة تميم رحلتها إلى أقصى غرب إفريقيا المسماة بـ"أرض غانة القديمة"[٢٢] .

وعادت بعض هذه الأسر من تميم مرة أخرى إلى وطنها الأم بشبه الجزيرة العربية ، ولما ظهر الإسلام قاد أحفاد هؤلاء العائدين بحملة لفتح غرب إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع وعقبة بن عامر التميمي[٢٣] وعقبة الجهيني وعقبة الهندي وغيرهم من قادة الفتح ، وأسلم ملك غانا العربي الأصل الذي يدعى برمندانا (Birmindana) بعد مقاومة عنيفة ، وتزوج عقبة بن نافع ابنته "بج منقو"[٢٤] (Bajjo Mongo) – وتسمى مريم– وعاش عقبة وأصحابه في غرب إفريقيا وشمالها نحو واحد وأربعين سنة ما بين (٢٢–٦٣هـ)،

وأنجب خمسة أولاد وبنتا واحدة ، وهم : عثمان ثور (Turo) ، ومحمد فلان (Fulan) ، وأبو بكر فلات (Fulat) ، وعمر دردو (Dardaw) ، وعلي غردو (Ghardaw) ، وفاطمة شلفو أو شفو (Shalffo, Shalffo) ، ولكل منهم أحفاد انتشروا ما بين فوتا تور إلى غاية البحر الأحمر ، ولكنهم تمركزوا خاصة بالمنطقة الممتدة ما بين نيجيريا والنيجر[٢٥] ، ولذلك ادعى الفلايتين أن لهم نسباً يرتبط بعقبة بن نافع) أ (عقبة بن عامر)[٢٦] .

استقر أحفاد محمد فلان بلد أكدز[٢٧] وتاوا وبلما[٢٨] والسودان الشرقي ونيجيريا ، وأطلق عليهم اسم "الفلانيون" و"فلاتة" ، وسكن أحفاد أبو بكر الفلات بلاد برنو ودمغرم وحوض التشاد وإريتريا ومصر ومالي الحالية ، والسودان الشرقي وإريتريا ومصر . أما أحفاد عمر دردو استوطنوا المناطق المجاورة لنهر السنغال وصحراء مالي وتمبكتو.

أما أحفاد عمر ثور سكنوا أرض ماسينا (مالي وبوركينا فاسو والداهومي) ، كما استقروا في نيجيريا والسودان وإريتريا والتشاد وتنبكتو ومنهم أحفاد عثمان بن فودي[٢٩] . واستقر أحفاد فاطمة شلفو الذين هم من أب رومي حول منطقة الكبابيش[٣٠] السودانية وأرض الشايقية والكامرون والتشاد وإريثيريا ، ولكنهم تواجدوا بكثرة في نيجيريا تحت اسم "سالي باوا" (Sally Baua).

وأنجب عقبة من زوجته الثانية صفية بنت جعفر بنت أبي طالب خمسة أولاد، وهم : يزيد وفولو (Fullo) ، وفيلا (Fella) ، وغرغو (Gharghou) ، وحيدر[٣١]. وتزوج المجاهدون الذين رافقوا عقبة من الروميات وإفريقيات، كما زوجوا بناتهم وأخواتهم إلى قبائل الروم والبربر ، فأنجبوا العديد من الأبناء والأحفاد وكونوا بذلك الكثير من الفروع والقبائل التي انضمت إلى الفلاتة انضمام التزاوج ، واستشهد عقبة بن نافع والكثير من المجاهدين ، كما توفيت بج منقو (فاطمة) مخلفين ورائهم ذرية نشطة[٣٢] ، ولهم عدة أقسام وهي :

أ- الفلاتيون الأصليون وهم أبناء عقبة من أم رومية.

ب- الفلاتة وهم بنو الروم الذين صاروا فلاتين بسبب التزاوج والمصاهرة، ومن هؤلاء الشلفيون الذين هم من أبناء فاطمة شلفو ابنة عقبة.

ج- الفلاتة بنو العرب وهم أبناء المجاهدين الذين رافقوا حملة عقبة بن نافع إلى إفريقيا، وهم أخلاطا من النوبة والعرب والزنج الذين تم فتح بلادهم، فاختلط أولادهم بأولاد عقبة وتكلموا بلغة الفلاتة فصاروا فلاتة.

د- الفلاتة الجعفريون كما يسميهم محمد بيلو في كتابه إنفاق الميسور، بأنهم فلاتة توردبي (Torodbé) انتسابا لجدتهم صفية بنت جعفر بن أبي طالب[٣٣].

وحسب رأي الطالب بن المختار بن محمد بن أحمد الطلابي السباعي الفلان هم من ذرية أبي بكر الصديق، حيث أن أولاده وجههم الخليفة عمر إلى لفتح إفريقيا ومنهم تناسلت قبيلة فلان[٣٤] . كما أول من سكن مدينة شنقيط من آل فلان هم من ذرية أبي بكر الصديق وسكنت معهم أسر من العلويين ، ثم قدم الفقيه الشيخ محمد قلي[٣٥] وهو أيضا من قبيلة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وتزوج من قبيلة العلويين الذين تكونت منهم قبيلة فلان. ثم تكونت عن أسر آل فلان قبائل كبيرة وعشائر عديدة استقرت بجنوب شنقيط لغاية شرق تمبكتو ، وسميت الأرض التي استوطنها آل فلان بمالي[٣٦].

وذكر الشيخ طالب بن المختار أن نسبهم عربي قرشي بكري، فهم من ذرية أبي بكر الصديق مما لا شك فيه ، وجدهم هو عبد الرحمان الملقب بـ"فلان" ، وكلمة فلان للتفخيم وتعني "الأمير" ، لأن جدهم كان أميرا على مدينة شنقيط كما جاء أن فلان هو لقب عبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن عروة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهم) وأن والدتهم فلانية تدعى "فلة"[٣٧] – وكلمة فلة نسبة إلى شجرة الفل ذات الرائحة الزكية – وهي أيضا أم محمد الملقب بـ"فوتا" ، أي أن عبد الرحمن الملقب بفلان ومحمد الملقب بفوتا أخوان شقيقان والدتهما هي فلة، غير أن "عبد الرحمن فلان" كان أميراً على مدينة شنقيط بعد الفتح الإسلامي ، وأن "محمد فوتا" خرج مع رجل منهم يدعى عبد الرحمن وهو من أهل العلم يقول بإن الاسم الصحيح هو "آفلان" ، ومصر والسودان ينطقونه "فلاتة"[٣٨].

وفي رواية أخرى نُسب الفولانيون إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فوصلوا إلى شجرة بداية بصالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي القاسم خلف بن هانئ بن إدريس بن عامر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن علي بن أبي

بكر بن سالم بن أبي الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) ، فهو عمري نسبة إلى عمر بن الخطاب[٣٩] . وجاء في تاريخ شنقيط للطالب بن المختار بن محمد بن أحمد الطلابي أنهم من ذرية جعفر بن أبي طالب[٤٠].

٣- الرواية الغربية:

لقد تناول العديد من الرحالة والجغرافيين الأوروبيين الذين زاروا إفريقيا ابتدءا من القرن ١٨-١٩م ، موضوع أصل القبائل الفولانية ، فقاموا بدراسات عديدة في هذا الجانب ، وتعددت نظرياتهم واختلفت.

أ- نظرية الأصل اليهودي :

ذكرت لأول مرة من طرف المستكشف والرحالة ونتر بوتون (Winter BOTTON) ، وماثيو (MATHEWS) في نهاية القرن ١٨م اللذان استقرا بمنطقة سيراليون ، كما تبناها أيضا "ڤريمال دوڤيغوندو" (Grimal de Guirandon) في ١٨٨٧م الذي أكد بأن الفلان من أصل يهودي ولكنهم يتكلمون لغة السود .

وتبنى هذه النظرية الكولونال فيري (FREY) الذي نبذ نظريته نظرية الأصل الفيتنامي التي تقول أن الفلان ذوي أصل فيتنامي واستبدلها بنظرية الأصل الحامي سنة ١٨٩٠م[٤١] التي ذكرها دولافوس سنة ١٩١٢م ، وجاءت هذه الرواية نظرا لطبيعة الحياة الزراعية التي يعيشها الفلان والتي تشبه إلى حد ما ما كان عليه "باتغياش" (Batriache)[٤٢] ، فدولافوس يعتبر من أكبر المؤيدين لهذه النظرية ويعتبر الفلان من يهود مصر وبرقة الذين هاجروا إلى واحات فزان -إثر ضغط الرومان- ومنها إلى واحة الآير ومنها إلى منطقة ماسينا ومنها توزعوا عبر نهر النيجر ، وهؤلاء اليهود السوريين عملوا كمستشارين لدى السونينكي ثم أصبحوا بعدها قوة في إمبراطورية غانا[٤٣].

ويرتكز دولافوس في نظريته على نصوص التوراة التي تعود إلى فترة القرن (٧-٦ ق.م) ، ورد على نظريته المؤرخ الليبي الدالي الهادي مبروك بأن أول حكومة مملكة غانا كانت من البيض البرقاويين المهاجرين الليبيين القادمين من الشمال الإفريقي ، وترجع هجرتهم هذه إلى حوالي القرن الأول الميلادي فاستقروا بمنطقة أوكار وسط مجموعة من قبائل الزنوج التي تتكلم لغة الماندي وأغلبهم من السونينك[٤٤].

وأورد "إدموند موغال" (Edmond MORELLE) في مقاله "مسائل إفريقيا الغربية" الصادر سنة ١٩٠٤م ، أن للفلان أصول هكسوسية لأن قبائل الهكسوس اتجهت نحو مصر واستقرت بدلتا النيل، أين أسسوا عاصمة لهم وجمعوا قوتهم فغزو مصر مرة أخرى وحكموها ثم اتجهوا إلى فلسطين ، ومجموعة منهم اتجهت إلى ليبيا ثم المغرب ثم موريتانيا فالسنغال فتعايشوا وتصاهروا مع سكان المنطقة وأسسوا فيما بعد إمبراطورية غانا[٤٥].

ووجدت هذه النظرية دعما من طرف القائد الحاكم لمقاطعات شمال نيجيريا "تومبل" (TEMPLE) ، الذي استند على صحتها للتشابه بين سمات الشباب الفلاني مع وجوه الهكسوس حكام مصر الذين يأخذون صفة الوجه اليهودي كلما تقدم بهم العمر[٤٦] . وتعتبر هذه النظرية مهمة لكنها لا ترتكز على أساس تاريخي واضح ماعدا مسألة تحركات الهكسوس بمصر .

ب- نظرية الأصل البربري :

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى احتمالية اختلاط وتصاهر الفلان مع البربر نظرا لقرب مساكن قبائل البربر من القبائل الإفريقية قرب حافات الصحراء ، فهم عناصر بربرية سكنت جنوب بلاد الشمال الإفريقي ثم استقرت بأعالي نهر السنغال، فتزاوجوا مع سكان المنطقة وأعطوا "الفلان"[٤٧]. ويعتبر "كوغتومبغ" (CORTAMBERT) صاحب هذه النظرية وجاء بها سنة (١٨٧٤م-١٨٧٥م)[٤٨] ، ونقلها عنه "فليكس ديبو" (Félix du BOIS) سنة ١٨٩٧م ، وسبقه "كروزال" (CROUZALS) سنة ١٨٨٣م وذكر بأن الفلان قدموا من جنوب بلاد المغرب الأقصى . ويرى كل من موليان في ١٨١٨م وبوالات (BOILLAT) في ١٨٥٣م أن أصل أحفاد الفلان إنما يرجع إلى البيضان – المُور- الذين قدموا من شمال السنغال أين اختلطوا بقبائل السّرر الإفريقية بعد غزوة العرب خلال (ق ٧-٨م) ، أين نزحوا إلى جنوب موريتانيا ومنها إلى السنغال وتزاوجوا مع أهل المنطقة فكانوا هم "أحفاد الفلان"[٤٩].

وهناك فريق آخر يرى بأن الفلان إنما هم "عرب- بربر" من أحفاد جند الدولة الأموية الذين استقروا ببلاد إفريقية والمغرب وتصاهروا في ما بعد مع السود مما نتج عنه أعراق أثنية متعددة[٥٠] . لا يوجد ما يؤكد صحة هذه الرواية وإن صدقت فهي بنسبة ضئيلة ، فليس باستطاعة بضعة ألاف من الجنود الأمويين إعطاء ملايين الفلان

الموجودين اليوم . أما الدكتور "غوبو" (ROUBOU) اعتبرهم مزيج من البربر والسود، وهو ما رفضه الدكتور "لاسنيه" (LASNIEH) ١٩٠٠م[٥١].

ج- نظرية الأصل النوبي-الأثيوبي:

تعتبر من النظريات التي لقيت رواجا إذ دعمها عدد كبير من المؤرخين، ويعتبر "موليان" (MOLLIEN) ١٨١٨م أول من تبناها ، وارتكز في هذه النظرية على الصفات الجسمانية والنفسية إذ وجد تشابها بين شخصية الفولانيين والنوبيين ذوي الأصول الأثيوبية، وأكد المؤرخ الألماني بارث سنة ١٨٥٥م أن الفلان قدموا من شرق افريقية ومروا بالمغرب سنة ١١٥٠ق.م ، وبسبب ضغط القبائل العربية اتجهوا نحو السنغال مع سنة ٧٥٠ق.م واستقروا بمنطقة فوتا تور.

كما أكد عالم اللسانيات "فريدريك ميلار" (Friedrich MULLER) بعد دراسته للهجات نوبة كردوفان والفلان وجود تشابه بين لهجاتهم، فاقترح أن الفولانيين استقروا بإفريقيا الشمالية مكان البربر وبعدها توجهوا نحو إفريقيا الغربية . وعادت هذه النظرية إلى الظهور مرة أخرى مع سنة ١٨٨١م من طرف "أوسكار لانز" (Oscar LENZ) الذي جعل من الفلان والنوبيين وسطاء ما بين السود والحاميين، ولقيت هذه نظرية الأصل النوبي -الإثيوبي صدى عبر سنوات ١٨٦٩م ، ١٨٧٩م ، ١٨٩٥م ، و١٨٩٦م[٥٢] .

نظرية "بايوت" (BAYOUT) اعتمد على نظرية الاختلاط البربري-الأثيوبي، أو النوبي-البربري في ١٨٨٧م الذي أطلق تسمية "ماشات" (Machat) على فلان نوبي البربر . أما غوتييه (GAUTIER) يذهب إلى أن الفلان نوبيون قدموا من البحر المتوسط ، وجعل شعوب منطقة السنغال تنحدر من أصل إثيوبي ونفى بأن يكون الفلان من البربر ، فأصولهم ترجع إلى أصول حامية سفلى إثيوبية ، نوبية أو كوشية[٥٣].

د- نظرية الأصل الغجري :

وهي التي ذكرها الطيب "تالي" (THALY) الذي أعطى للفلاني أصلاً غجرياً ، فبعد طردهم من بلادهم الأصلية من قبل المغول خلال القرن السادس الهجري الخامس عشر الميلادي (٦هـ/١٥م) هاجروا إلى مصر ومنها إلى سوريا ، وفي فترة لاحقة انتشروا بوسط إفريقيا إلى أن وصلوا إلى منطقة سنغامبيا[٥٤].

و- نظرية الأصل الهندي:

صاحب هذه النظرية هو كزافيي دوفولبزي(XAVIER DE GOLBEZZY) جاء بها في ١٧٨٥م ، واعتمد فيها على الصفات الجسمية للهنود السود فهي تشبه إلى حد ما صفات سود إفريقيا ، من هنا جعل للفلان أصلا هنديا أما باقي الشعوب الإفريقية فأصلها إثيوبي .

كما وجد المؤرخ الانجليزي "ماثيو" تشابها بين الفلان وقبائل لاسكار (Lascar) الهندية، وبالتالي فإن الفلان قدموا من إفريقيا عبر الساحل الشرقي ومنها إلى الهند، وهو ما ذهب إليه أيضا "فيداغب" (FAIDHERBE) سنة ١٨٦٠م ، ويضيف"كنوتال" (KNOUTEL) سنة ١٨٦٦م أن فلان الهند اتجهوا بعهدها إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ومنها إلى أثيوبيا أين التقوا بالكوشيين[٥٥].

وإلى جانب هذه النظرية الهندية ظهرت نظرية الأصل المالايو-البولينزية (Malayo-polynésienne) ، والتي تبناها "بنجر" (BENGER) سنة ١٨٩٢م ، جاء فيها أن الفلان الهنود لما وصلوا لبلاد سيرت، انقسموا إلى مجموعتين إحداهما اتجهت صوب الجنوب ومنه إلى الجنوب الغربي (الكاميرون ونيجيريا) ، والثانية اتجهت نحو الغرب أعطونا "فلان" وخليط "فلان فوتا تور السنغال" ، و"فلان فوتا جالون" و"فلان ماسينا"[٥٦] . هذه النظرية لم تشر إلى تحركات الفلان من الغرب نحو الشرق، والمعروفة في الكتابات التاريخية والروايات الشفهية بـ"الهجرة غرب-شرق".

ز- نظرية الأصل الفارسي :

ذكرها "إتيان ريشي" (Etienne RICHET) بعد الدراسة الأنتروبولوجية التي قام بها على فلان منطقة أداماو وعلى الفرس الإيرانيين ، فخلص إلى وجود تشابه مشترك بينهم في سمات الوجه وبعض العادات، وحتى في نمط الحياة ونوعية الأبقار مما جعله يخلص لهذه النظرية[٥٧].

ح- نظريات علماء الأجناس واللغات:

أما علماء الأجناس فيرون بأن أصول هذا الشعب ترجع إلى أرومة مصرية ، وأنهم هاجروا من صعيد مصر واتجهوا إلى ناحية الغرب سالكين في ذلك طريق بلاد المغرب ثم انحدروا إلى المحيط الأطلسي حيث استقر بعضهم هناك بينما واصل البعض الآخر سيره حتى بلاد السنغال، وانقسموا إلى قسمين "فلان جادة" امتزجوا مع غيرهم ، و"فلان كاو" احتفظوا بخصائصهم القومية[٥٨].

بالنسبة لنظرية الأصل الغجري والهندي واليهودي فإن المؤرخ لويس توكسيبي يرى بأنها غير معقولة ولا أساس لها من الصحة وبالتالي يجب رفضها ، ويجب الاعتماد والأخذ بنظريات علماء الأجناس واللسانيات الذين اعتمدوا على العلم لإثبات نظرياتهم من خلال دراسة أنثربولوجية للفولانيين ودراسة لغوية للغاتهم ولهجاتهم، ومن بين هؤلاء العلماء : موليان ١٨١٨م ، بارث ١٨٥٥م ، أوسكار لانز ١٨٨١م ، غوتييه ١٩٣٥م وغيرهم من العلماء ، ومجموع نظريات هؤلاء :

- إن الفلان من أصل حامي و ليسوا بساميين ولا من أصل يهودي سوري.
- تبين أن لغة الفلان ذات أصل حامي وليست بلغة إفريقية –أي لغة السود الأفارقة– فهي لغة (Chamitique) قديمة أخت للغة الحامية التي تفرعت عنها لغة البانتو ، والتي أثرت على لغة الأفارقة السود وهي أخت للغة الفولانية من حيث الكلمات واللهجات والتعابير، فأثرت بالتالي على الأفارقة السود الساكنين بإفريقيا الشرقية وهو الأمر نفسه بالنسبة للغة الفولانية ، التي قدمت من شرق القارة وليس من شمالها ، فهي لغة حامية كوشية قديمة وليست بلغة حامية بيضاء قادمة من شمال القارة.

والأقرب إلى الصواب حسب دراسات علماء اللغة والأجناس أن الفلان من أصل حامي كوشي ولغتهم أيضا وبالتالي فهم من أصول إثيوبية ، فقد عارض الشيخ أنتا ديوب الفكرة التي تجعل من الفلان بيضا مزنجين وخلص إلى الاعتقاد بأنهم تكونوا في شرق القارة إثر التداخل بين الزنوج والبيضان وهم أفارقة اختلطوا تدريجيا مع العامل الخارجي .

مع أن اللغة الأولى لقبائل الفلاني كانت تعرف باسم فولور ، إلا أن أفراداً منها يتكلمون لغة الهوسا كلغة ثانية ، الأمر الذي يعزز التكامل العرقي بينهما[٥٩] .

ثالثا: هجرات القبائل الفولانية

١– أقسام وأوصاف القبائل الفلانية:

انتشروا في جميع أقاليم السودان بداية هاجروا إلى غرب السودان ثم إلى السودان الأوسط واحتلوا أقاليمه حيث أقاموا دولة صغيرة لهم وفي نهاية القرن الثالث عشر وصلوا إلى غاية غرب أفريقيا وأصبحوا تابعين إلى إمبراطورية غانا التي زحف عليها المرابطون

آنذاك فاعتنق معظم الفولانيين الإسلام مع الوفود المعتنقة له حينها[٦٠] ، لكن هناك اختلاف في صفاتهم الجسمانية ويعتبر العامل الأساسي الذي يحكم في توزيعهم فكان كالتالي :

أ- فلان منطقة فوتا جالون[٦١] :

قدم فلان ماسينا إلى منطقة فوتا جالون سنة ١٦٧٥م واستقروا بها، بعدما كانت خاضعة لسيطرة قبائل الصوصو-الديالونكي سنة ١٧٢٥م ، وتجاورا مع قبائل الفولاكوندا (Foulacounda) -وتعني كلمة "فولا" الفولاني أما كلمة "كوندا" فمعناها بلغة الماندي "مؤسسات أو مباني"- . وهاجر الفولاكندا سنة ١٥٣٤م بقيادة "كولي تونغلا" (Koli Tounguila) ابن زعيم قبيلة الفلاني الذي قتل في حوض نيارو سنة ١٥١٢م من قبل قوات مملكة سنغاي ، فواصل ابنه كولي تونغلا سيره إلى غاية منطقة فوتا تور أين بسط نفوذه ثم اتجه بعدها إلى غينيا الفرنسية وأعالي غامبيا أين استقر إلى جوار فلان الفولاكندا ، واهتموا بالزراعة بشكل خاص التي أخذوا تقنياتها عن فلان ماسينا[٦٢].

كما استقر بفوتا جالون فلان "فولا هوبو" (Foula Houbou) بعد مطاردة قبيلة "الماليتينبو" (Malitinbou) لهم، فلم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى جنوب وغرب منطقة فوتا جالون أين استقروا بها إلى جانب إخوانهم فلان بلاد هابي (Habbé) وفلان بلاد الموسي (Mossi) وفلان بلاد غرونزي (Gourounsi) الذين انتشروا حتى خط عرض (٩) درجة شمالاً .

ويتميز فلان فوتا جالون بقامة متوسطة وجسم نحيف صلب، وتتراوح قامتهم مابين ١.٦٩ متر للرجال و ١.٥٤ متر للنساء، ويعتقد أنها المميزات الجسمانية لشعوب الديالونكي الذين سيطروا على منطقة فوتا جالون قبل قدوم الفلان إليها[٦٣].

ب- فلان منطقة أوبو (Houbou):

يتمركزون في المنطقة الجبلية لفيتابة (Fitaba) الواقعة في الجزء الشمالي لدائرة فاراما (Farama) ، ويتميزون عن غيرهم من الفلان بأجسام متوسطة الطول ونحيلة وعيون سوداء جميلة ، وهم مسلمون يتحدثون اللغة العربية ، وبرعوا في الاعتناء بالماشية من حيث تربيتها ومداواتها كما أنهم اشتهروا بإنتاج الزبدة[٦٤].

ت- فلان منطقة ماسينا:

وهم محاربون للسولينكي والبامبارة كما اشتغلوا بالزراعة، ويتميزون بطول القامة والذقن المحدب والوجه الطويل ذو الجمجمة منبسطة، ومتوسط طول نسائهم ١.٦١ متر والرجال ١.٧١ متر ، خاضعوا لسيطرة مملكة سنغاي في عهد الأسكيا محمد ثم خضعوا لسيطرة المغاربة السعديين(٦٥).

ث- فلان منطقة ياتنغ (Yatounga):

يعيشون ببلاد الموسي وهم أكثر طولا وقوة من فلان ماسينا ، فمتوسط طولهم ١.٧٠ متر غير أنهم اختلطوا مع عناصر سودانية.

ج- فلان منطقة الهاوسا:

استقروا بمنطقة الهاوسا منذ سنة ١٨٠٠م إثر هجرة عثمان بن فودي الفلاني لبلاد الهاوسا قادمين إليها من الغرب نحو الشرق(٦٦) – من فوتا تور والسنغال التي استقروا بها مع القرن ٢هـ/٨م- أي من السنغال نحو التشاد فكان القرن ١٣هـ/١٩م بداية لهجرة الفولاني المعروفة "غرب-شرق" ، ويعتقد أنهم قدموا من إثيوبيا منذ أزمنة بعيدة واستقروا بالسنغال ولكن يجهل تاريخ هذه الهجرة(٦٧).

ونتيجة لهجرات الفولانيين إلى مناطق فوتا تور وفوتا جالون تجاوروا مع قبائل الولوف والسّرر والمالنكي والزنوج، فتصاهروا معهم فنتج عن هذا التصاهر قبائل فولانية جديدة منها :

أ- فلان توكولور السنغال :

وهم خليط من الفلان والولوف والفلان والسّرر ، وهم متوسطي الطول ذوي أجسام نحيفة بشرتهم سمراء نحاسية ، وشعرهم طويل أسود اللون وعيونهم كبيرة دائرية الشكل حسب تقرير "دوشير وغراي" (Doucher, Gray) سنة ١٨٢١م ، وغالباً ما نجدهم مستقرين بالسنغال . وقسم "غروزيل" (G'Rouzels) فلان توكولور السنغال إلى مجموعات حسب أوصافهم الجسمانية :

أصحاب القامة المتوسطة يتواجدون في بوندو (Boundou) ، أما أصحاب القامة القصيرة جدا فيتواجدون في السنغال ، وأصحاب القامة الطويلة والرفيعة يتواجدون

في فوتا جالون ، وأصحاب القامة القصيرة يتواجدون في منطقة أداماو (Adamawa) الشرقية[٦٨].

ب- تصاهر الفلان والسود:

يتواجدون بمضارب قبائل الخاسونكي والفولنكي، ينقسمون إلى أربع مجموعات وهم عادة أجمل الرجال أكثر طولا من السود وأكثر قوة من الفلان .

بعد دراسة مختلف فروع الفولاني يتضح بأن الأوصاف الجسمانية للفولانية، هي العامل المتحكم في توزيعهم الجغرافي ، واختلاف مناطق تمركزهم حسب صفات كل قبيلة على حدى .

٢- هجرة القبائل الفولانية وتوزعها الجغرافي :

خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي (٧هـ-١٣م) بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال إلى الشرق حيث وصلوا إلى شمال غرب نيجيريا[٦٩] . حسب محمد بلو قبائل الفلان افترقت إلى ثلاث فرق وذلك للوقائع التي حدثت هناك في القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي (٦هـ/١٣م) ، دخلت فرقة في بلاد فوتا تور، وفرقة أخرى التي مع التكولور أو الفوتونكي (Fotonki)، الذي كان لها سبب في الامتزاج مع التبرير[٧٠] فوتا جالون الذي قدموا واستولوا على فوتا جالون من أيدي سومر دياننكي ١٧٢٥م ، وسكنوا هناك وفرقة عزموا على أن يسيروا إلى الشرق ليدخلوا مع قبائل آبائهم العرب فمضوا حتى وصلوا إلى هذه وأقاموا فيها واستمر معظمهم حتى وصلوا إلى بلاد العرب واندمجوا معهم[٧١].

وحسب رواية أخرى فان قبائل الفلان المعروفة بالفافابي Fafabé ، كانوا على حدود فوتا ومنطقة الجلف وتواجدهم مع قبائل الولوف بسبب الصراع بين فافابي وزعيم منطقة الجنوب حميدو كان في سالداي وهو من أرغمهم على الرحيل إلى منطقة الولوف[٧٢].

وحسب رواية أخرى فان الفلان قدموا لنيجيريا من منطقة فوتا تور، وتبعوا نهر النيجر للوصول إلى ساي (Say) ، أين توزعوا تدريجيا شمال نيجيريا مع القرن الرابع عشر ميلادي ، بقي بعضهم بدو وآخرين تحولوا إلى حضر مستقرين[٧٣] . وجاء في رواية أخرى أن هذه القبائل هاجرت إلى الغرب وصولا إلى حوض النيجر قبل القرن الخامس عشر واستمرت هجراتهم إلى غاية القرن السادس عشر ميلادي باتجاه الشرق[٧٤].

الكثير من الجماعات الفلانية لم تتحرك إلى نيجيريا حيث شعب الهاوسا ولكنها استقرت مع شعب الماندي بالقرب من نهر النيجر، واشتغل فريق منهم بالرعي وآخر بأعمال التجارة بالمدن ، وواصلوا هجرتهم شرقا حتى وصلوا إلى بلاد برنو، لأنه في عهد السلطان الحاج عمر بن إدريس الذي حكم برنو (١٠٣٦-١٠٥٥هـ/١٦٢٥-١٦٤٥م) وفدت بعض الشعوب الفلانية وكان بينهم بعض المشايخ مثل الشيخ ولديد الذي استوطن شمال برنو واتخذ هذه المدينة لنشر الإسلام وكان معه الشيخ ابن الجرمي الذي عمل على هداية الناس وتعليمهم الإسلام الصحيح[٧٥] ، وبفضل الإسلام ابتعد الفلان عن عاداتهم السيئة وتقاليدهم الوثنية كقبيلة مابوبي (Maboubi)، التي نبذت استعمال طوطم الضبع الذي كانوا يقدسونه في القديم[٧٦].

كما قامت في غرب افريقيا حركات اصلاح دينية كان لها الاثر في انتشار الاسلام في الهوسا ، وأهم تلك الحركات التي كان لها الاثر الاكبر قي دعم الاسلام وانتشاره في منكقة كبيرة هي الحركة التي تزعمها الشيخ دان فوديو فإليه يرجع الفضل في نشر الاسلام بين قبائل الهوسا في اخريات القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر[٧٧] .

ومع أن مماليك الهوسا التي تشمل على كاتسينا وجوبير وكانوا زارياً وكانت كلها غنية ، ولكن كان يؤدي التنافس بينها الى نشوب القتال بين بعضها البعض ، ولذلك انتهزت دولة برنو في شرقيها الى انتهاز فترة ضعف تلك الممالك فكانت تضغط بين الحين والحين وكادت تهدد استقلالها[٧٨] .

وفي ظل هذا الجو السياسي نهض الزعيم عثمان دان فوديو معتمداً على قبائل الفولة وبادئاً حركته في جوبير ، ولكن ملكه أجبره على مغادرة بلاده فاضطر الى الهرب ، ويعتبر هذا اليوم يوماً دينياً مبجلاً يطلق عليه في شمال نيجيريا يوم الهجرة ، وسرعان ما انظم الى دعوته الآلاف الذين قادهم عثمان الى تلك الممالك ، فقضى على ملوكهم الواحد بعد الأخر ، وتمكن زعماء الفولة أن يصبحوا سادة بلاد الهوسا كلها ، ومن ثم أقاموا عدة مراكز في طول البلاد وعرضها وكانوا يشنون منها الهجمات ضد القبائل الوثنية ، فدانت لهم مناطق شاسعة في وقت قصير[٧٩] .

ويبدو إن أسباب هذا النصر تعود الى ضعف روح المجتمع في تلك الممالك وكانت الحياة تسودها الفرقة وتنافر الصفوف وكان الملوك يعتمدون على جيوشهم الخاصة ورجال البلاط فكانوا منعزلين عن شعوبهم فانقسم السعد الى سادة وأتباع ، أما السادة

فكان عمادهم الظلم والإرهاب ويخشون على ملكهم من جيرانهم ومنافسيهم ، بينما أفراد الشعب سواء كانوا فلاحين أو أصحاب مهن فقد عانوا الضرائب الباهضة وطغيان الحكومة رجال الحكومة في جباية الأموال[٨٠] .

وكان الشيخ عثمان دان فودي فقيه وعالم ينسب الى عشيرة تورتك من حوض السنغال ، وكان قد تحرك فرع من هذه العشيرة الى ادامارا في حوض نصر بنوي الرافد الشرقي لنهر النيجر[٨١] ، وهناك فرع اتجه الى جوبير وهي إحدى دول الهوسا الوثنية وعرف باسم تورك جوبير ، وكان هذا الفرع من اشد فروع الفولانيين تحمساً للإسلام وهو المذهب المالكي ، وفي هذه المنطقة اسلم كثير من الهوسا والتفوا حول الفولانيين ، وتزعم هذا الفرع الفقيه عثمان بن فودي[٨٢] .

وقد ولد الشيخ عثمان في كويني وتلقى علومه الإسلامية على يد أبيه وأخذ عنه الكثير وقد ذهب الى مكة وتعرف الى الحركة الوهابية[٨٣] ، فلما عاد اخذ يتجول في بلاد الهوسا داعياً الى نبذ البدع والتمسك بالمبادئ الصحيحة للإسلام ، ثم اخذ ينمي جيلاً من الدعاة للغرض نفسه ، وهكذا انتشرت حركة الدرس في كل بلاد الهوسا حتى عام ١٢٠٠هـ ، حيث بدأ الصدام بين أتباع الشيخ عثمان والسلطة القائمة في جوبير[٨٤] . وفي عام ١٧٩٥م دعا الشيخ أتباعه لحمل السلاح وبداية الجهاد وأعلن نفسه (ساركين مسلماني) أي : أمير المؤمنين ، واستقر في مدينة سكوتو[٨٥] .

وقد توسعت دولته على حساب إمبراطورية كانم – برنو ، واستطاع ضم دويلات الهوسا المتفرقة الى دولته بعد أن خلع سلاطينها وعين عمالاً يخضعون لسلطان عاصمته سكوتو ، وساعدت دولته على اندماج قبائل الهوسا بالفولة أي الحاكمين بالمحكومين[٨٦] . وقبل وفاته قسم البلاد بين ابنه السلطان محمد وبلو وأخيه عبد الله ، واستمر يؤلف ويكتب ، فضلاً عن كونه قائداً سياسياً ،ثم توفي الشيخ سنة ١٢٣٢هـ/١٩١٧م ولحقه أخوه الذي توفي بعده بقليل فانفرد بلو بالحكم[٨٧] .

وكانت مؤلفات الشيخ تزيد على مائة مؤلف يوجد منها الآن مجاميع موزعة في المراكز العلمية في دولة نيجيريا الاتحادية ، ومن مؤلفاته : أخلاق المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وإرشاد أهل التفريط والإفراط ، وإرشاد الأخوان الى أحكام الإحسان ، وإرشاد الإخوان الى أحكام خروج النسوان ، وبيان وجوب الهجرة على العبادة ، واقتباس العلم ، وإعداد الداعي الى دين الله ، وعمدة المتعبدين والمنحرفين ، وعمدة

البيان ، وسوق الصادقين بحضرة القدس[٨٨] ، وغيرها من الكتب ولكننا لم نذكرها هنا كلها لكثرتها وإنما أوردنا بعضاً منها .

والفلاتي هم مجموعة من القبائل الرعوية البدوية ولغتهم هي السودانية، وخلال مراحل تاريخهم أصبحوا من بين القوميات الكبرى في السودان الغربي والأوسط فازدادت مكانتهم بعد سقوط مالي وخضعت سنغاي التي سرعان ما سقطت تحت الاحتلال المراكشي فزادت مكانة الفلان لأنهم لم يخضعوا للاحتلال نفسه وقد أتاح لهم هذا الاندفاع نحو الشر وانتشروا كرعاة بين القرى الزراعية[٨٩]، ونشط التجار في البيع والشراء وما أن جاء القرن السادس عشر حتى ازدادوا قوة وقويت بوجودهم الهوسا التي استقروا بها[٩٠].

وتمكن الفلانيون من تأسيس إمبراطورية كبيرة حيث اهتموا بالزراعة، وكانت الأراضي الفسيحة التي تتكون منها الإمبراطورية في غالبيتها أراضي خصبة ، فكثرت بها المحاصيل الزراعية وازدهرت على يد فلان تورنكي[٩١] ، وعادت عليها بفائدة اقتصادية كبيرة مكنتها من التطور وسيطرت فوتا سنقومايو على هذه المناطق الواسعة بتسيير أعمال التجارة فأخذت الأسواق المختلفة من جميع الاتجاهات تتصل بها، وكانت الطرق حافلة بالقوافل التجارية التي تسير في مأمن وبالتالي انتشر بها الغنى كما زارها الرحالة الأجانب[٩٢] ، وقد دانت هذه القبائل بالإسلام في وقت مبكر ، وكانت صفاتهم شجعان كغيرهم ويعرفون بمهاراتهم في استعمال الأسلحة والفؤوس والنشاب والبنادق في بعض الأحيان ، كذلك من صفاتهم أيضاً أنهم مسلمون متمسكون بأصول الدين ، فمثلاً : يندر أن يشرب احدهم الخمر[٩٣] ، ووصفت بان سكانها شعب له بشرة سمراء معظمهم حافظون للقران الكريم ويتكلمون اللغة العربية ، وبسبب حفظهم للقران يعيشون حياة قبلية لا يخضعون لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون بها وهم أصحاب طبيعة هادئة تعلموا جيدا ما هو الحق وما هو العدل حتى أن من يرتكب الشر منهم يكون موضعا لكره الجميع ، وهذه الجماعة على جانب كبير من النشاط الاقتصادي والاجتماعي فهم يزرعون الكثير من القمح والقطن مما يزيد عن حاجتهم[٩٤].

كما اشتهر الفلانيين بالكرم إلى درجة أن الإفريقيين يعتبرون أن من نعم الله عليهم أن يكون بجانبهم جماعة من الفلانيين ، ويقال أن هذه القبائل كانت تقطن المساكن التي يوجد بها الولوف، والظاهر أنهم اخذوا اسمهم الجديد بعد ما أسموهم البوفر ، وبعد دخلهم

الإسلام اشتركوا مع عبد الله بن ياسين في فتوحاته في إفريقيا وكثر تواجدهم بالسنغال هم وقبيلة البوفر ، ويطلق الفلانيون على أنفسهم اليرم بمعنى العرب، وهؤلاء كان طريقهم الذي سلكوه طبيعيا من الجنوب في خط مستقيم ، ولا توجد لا جبال ولا عراقيل في طريق رحلتهم التي تتابعت في عدة قرون قبل الإسلام .

ثم تطورت هجرتهم إلى الشرق انطلاقا من السنغال فهجروا مع أولادهم وأحفادهم إلى غينيا في فوتا جالون ، ثم إلى مالي ثم إلى فولتا العليا فالنيجر وبعدها استقروا بنيجيريا، حيث أسسوا دولة سوكوتو التي أسسها عثمان فودي الفلاني ، واختلطوا مع قبيلة البوفر الموجودة بالمنطقة قبلهم ، وهم الذي يسمون "التكرور" ويطلقون على أنفسهم "الفولبي"(٩٥) .

الخاتمة :

من خلال ما سبق ذكره فإن القبائل الفلانية تنتشر عبر حزام السافانا من حوض نهر السنغال إلى غاية الأراضي الإثيوبية والأراضي الإريترية شرقا ، وهم قسمان فلان حضر مستقرين بمالي ونيجيريا والكامرون والسودان، وفلان بدو رحل وشبه رحل يتوزعون عبر مراعي السافانا في السنغال ومالي وبوركينا فاسو ونيجيريا والكامرون والسودان ، ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة وتربية المواشي . وهاجر الفلان من موطنهم الأصلي بحوض السنغال إلى وسط وشرق القارة الإفريقية نتيجة عدة دوافع ، ويمكن حصرها في عاملين ، هما:

١- العامل الطبيعي : وهو السعي وراء المراعى والأراضي الخصبة للزراعة وتربية المواشي.

٢- العامل الديني : والذي أقره عثمان بن فودي بوجوب الهجرة على العباد بعد استعمار البلاد من قبل القوات الأجنبية.

الهوامش :

١- الفيتوري ، عطية مخزوم ، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء ، دار الكتب الوطنية ، ط١ ، (بنغاري – ١٩٩٨م) ، ص٢٩.

٢- بلو محمد ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق : بهيجة الشاذلي ، جامعة محمد الخامس ، معهد الدراسات الإفريقية ، (المغرب-١٩٩٦م) ، ص٥٥.

٣- السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان . تحقيق وتعليق : هوداس وبنوه ، مطبعة بردين ، (باريس – ١٨٩٨م) ، ص ١٥٧.

٤- الهوسا : هي قبيلة تسكن في جمهورية مالي في إقليم السودان الأوسط ، ويرجع أصلهم الى الأمير التركي الذي هرب من بغداد (بابا جيدا) نتيجة خلاف وقع بينه وبين والده ، وتنقسم هذه القبيلة الى (١٦) قبيلة ، ينظر : الوزان ، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية : محمد صبحي ومحمد الأخضر ، ط٢ ، منشورات الجمعية المغربية ، (د.م – ١٩٨٣م) ، ص١٧٢ ؛ الفيتوري ، دراسات في شرق أفريقيا ، ص٢٠٩ ، ٢١٣ .

5– Tauxiere, Louis, Mœurs et Histoire des Peules (Peuls du Fouta Djallon, Peuls de Macina, Peuls d'Issa Ber). Paris: Ed Payot, 1937, PP: 12-13.

٦- التونسي محمد بن عمر ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد ، ط١ ، الدار القومية ، (القاهرة – ١٩٦٥م) ، ص١٣٥.

7– TAUXIER (Louis), Op. Cit, P: 14.

8– Ibid, P: 13

9– Ibid, P: 14-15.

١٠- بلو محمد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣١.

١١- فوتا تور : أو فوتا نورد تقع على نهر السنغال ، بوعزيز يحيى ، المرجع السابق ، ص٢١١.

12– TAUXIER (Louis), Op.Cit, P : 31.

13– Ibid, P:32.

14– Ibid, P: 13, P: 32-35.

15– Ibid, P: 36-38.

16– Ibid, PP: 37-38.

17– Ibid, P: 40.

١٨- وإن كان ديافوندو يعتبرون خليطا من الفلان ونساء السونينك أو السونينك الأحرار.

19– TAUXIER (Louis), Op.Cit, PP : 42-44.

٢٠- وهي الفتنة (٢٠٠٠- ٧٥٠ ق.م) التي أدت إلى الدمار الشامل بشبه الجزيرة العربية ودمار صدود اليمن مما أدى بهم إلى هجرة جماعية فاستقروا في الهند حيث الأمان الإسلام. ينظر: الفلاتي الطيب عبد الرحيم ، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان ، دار الكتاب الحديث ، (الكويت – ١٩٩٤م) ، ص٦٨.

٢١- تعني ليبيا كل شمال إفريقيا إلى صحراء العمور بالسودان الحالي . المرجع نفسه ، ص ١٩.

٢٢- ناجي علي أيوب ، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ، ط١ ، دار الكتاب الحديث ، (الكويت – ١٩٩٦م) ، ص١١.

٢٣- عقبة بن عامر التميمي : صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولّي مصر من قبل معاوية سنة ٤٤هـ وتوفي في آخر خلافته ودفن بالمقطم ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، تحقيق وتعليق : مصطفى عبد القادر عطاء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ج٧، ص٢١٠.

٢٤- باجا منقو : ويعني لفظ "بج منقو" بلغة الفلان البنت الوحيدة التي لم يولد قبلها أو بعدها مولود .

٢٥- الفلاتي الطيب عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص ١٩.

٢٦- فهد ، بدري محمد ، الصلات بين العرب وافريقيا ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، (الأردن – ٢٠٠٢م) ، ص٤٧ .

٢٧- اكدر : ويقال"أقدز" تحريف للفظ "أغاديس" ، مدينة تقع بالقرب من طرق القوافل التجارية بين اقاليم تشاد وبلاد المغرب ، ينظر : التونسي محمد بن عمر ، المصدر السابق ، ص١٣٥ .

٢٨- بيلما : عاصمة كوار ، ينظر :

COQUERY-VIDROVITCH (Catherine) , Histoire des villes d'Afrique noires , des origins a la colonization . Paris : Ed Albin Michel , 1993 , p:117.

٢٩- الفلاتي الطيب عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص ١٩.

٣٠- الكبابش : من أهم المناطق السودانية وأشهرها تعتمد على تربية الإبل والضأن والكباش ومنه اخذت تسمية المنطقة ، ينظر : المرجع نفسه ، ص٢٣٩ .

٣١- ناجي علي أيوب ، المرجع السابق ، ص١١ .

٣٢- المرجع نفسه ، ص١٣ ؛ الفلاتي الطيب عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص١٩.

٣٣- بلو محمد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٣١ .

٣٤- بلعالم محمد باي ، الرحلة العليا الى منطقة توات ، دار هومة ، (الجزائر – د.ت) ، ج٢ ، ص٥٨٠ .

٣٥- قلي تعني الرجل الابيض ، ينظر : بلعالم ، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر ، ط٤ ، دار هومة ، (الجزائر – ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص٨٠ .

٣٦- وتسمى في السابق ببانجلول وحديثاً كامبيا ، المرجع نفسه ، ص١١ .

٣٧- فلة : من القبيلة اللمتونية العربية الحميرية ، كانت اميرة وابنة امير من امراء حمير ، وامها تدعى دي ، أي : بنت جاي الزنجية ، وهناك منطقة في جنوب شنقيط تسمى :أفل" وهي ارض ذات جبال ورمال وأودية صالحة للزراعة ومعروفة عند سكان شنقيط .

٣٨- بلعالم محمد باي ، المرجع السابق ، ص١١-١٢ .

٣٩- بالعالم محمد باي ، الرحلة العليا الى منطقة توات ، ص٥٨١ .

٤٠- بلعالم محمد باي ، قبيلة فلان ، ص١٣ .

41- CORNEVIN (Robert) , Histoire des Peuples de L'Afrique Noie . Paris : Ed Berger-Levraut , 1962 , P:347 .

42- TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:26.

43- CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , PP:347-348.

٤٤- الدالي الهادي مبروك ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من مطلع القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، (بيروت – ١٩٩٩م) ، ص٢٣ .

45-CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , PP:347.

46- Ibid,P:148.

٤٧- الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، حركة المد الاسلامي في غربي افريقيا ، مكتبة نهضة البشرى ، (د.م – ١٩٨٥م) ، ص٧٤ .

48-CORNEVIN, Op .Cit , PP:348. TAUXIER, Op .Cit , PP:103-104 .

49-TAUXIER, Op .Cit , P:42.

50-CORNEVIN, Op .Cit , PP:348.

51- Ibid,P:28.

52-CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , P:351.

العنيمي عبد الفتاح مقلد ، المرجع السابق ، ص٧٤ .

53-CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , P:27.

54- Ibid,P:346 . TAUXIER (Louis) , Op .Cit , PP:75-76.

منطقة السنغامبيا : تضم مجموع الدول الواقعة بين نهري السينغال والنيجر ، وتمتد افقياً من المحيط الاطلسي وتشمل عدداً من الدول منها : السنغال ومالي وغينيا وسيراليون وساحل العاج وغانا ونيجيريا والنيجر .

55–CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , P:349.

56- Ibid,P:349 . TAUXIER (Louis) , Op .Cit , PP:108-112.

57–Ibid,PP:349-350 .

٥٨- الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص١٣ .

٥٩- فهد ، بدري محمد ، الصلات الثقافية من خلال الحركات الشعبيى ، منشورات جامعة بغداد ، (بغداد – ١٩٨٨م) ، ص٧٠ ؛ فهد ، الصلات بين العرب وافريقيا ، ص٣٦ .

٦٠- الفيتوري ، عطية مخزوم ، المرجع السابق ، ص٢٨ .

٦١- فوتا جالون : عاصمة تامبو يقع ما بين سيراليون جنوباً ونهر غامبيا شاملاً ، وتسمية فوتا جالون نسبة لقبائل جالون واضيفت كلمة فوتا وهي كلمة فولانية تعني الاماكن التي حكم الفلان او تواجدوا بها ، ينظر :

TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:223.

62–Ibid,P:14.

63–TAUXIER (Louis) , Op .Cit , PP:15-19.

64–Ibid,PP:18-19.

65– CORNEVIN (Robert) , Op .Cit , P:362.

٦٦- حسب تقرير يعود لسنة ١٩٣١م عن مجلة "الإنسان" (L'HOMME) فان الفلان ٢٠ق.م يتوزعون في فوتا تور السنغال ، أعالي السنغال ، فولتا العليا ، والداهومي وغينيا الفرنسية ، ينظر :

TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:16.

٦٧- حسن ، حسن ابراهيم ، انتشار الاسلام في القارات الافريقية ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – ١٩٨٤م) ، ص٧٤ .

68–TAUXIER, Op .Cit , PP:18-19.

٦٩- الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، المرجع السابق ، ص١٩٨ .

70–TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:15.

٧١- بلو محمد ، المصدر السابق ، ص١٢٠ .

72- BA Oumar , " Les Peules du Djolaff " , Le Culture Afrique , Alger : Ed S.N.E.D , 1969 , P:395 .

73- CUOQ (Josephe) , les musulmans en Afrique . Paris : Ed Larousse , 1978 , P:250 .

74- Sekene Mody Cissko : Tombouctou Et L'empire Shanghai , Paris : Ed Harmattan , 1996 , P:246 .

زكي ، تاريخ انتشار الاسلام ، ص٨٩ ؛ فهد ، الصلات الثقافية ، ص٣٦ .

٧٥- الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، المرجع السابق ، ص١٩٩ .

76-TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:139.

٧٧- عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية غرب افريقيا ، ص٧٨ ؛ زكي ، انتشار الاسلام في غرب افريقيا ، ص٩٧ ؛ فهد ، الصلات الثقافية ، ص٤٨ .

٧٨- عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية غرب افريقيا ، ص٦٢ ؛ زكي ، انتشار الاسلام في غرب افريقيا ، ص٩٧ .

٧٩- عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية غرب افريقيا ، ص٦٤ ؛ زكي ، انتشار الاسلام في غرب افريقيا ، ص١٥٠ .

٨٠- زكي ، انتشار الاسلام في غرب افريقيا ، ص٩٧ .

٨١- فهد ، الصلات الثقافية ، ص٤٨ .

٨٢- عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية غرب افريقيا ، ص٧٤ .

٨٣- فهد ، الصلات الثقافية ، ص٤٨ .

٨٤- عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية غرب افريقيا ، ص٨١ .

٨٥- المصدر نفسه ، ص٨١ .

٨٦- المصدر نفسه ، ص٨٢ .

٨٧- طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية ، (القاهرة – ١٩٦٣م) ، ص١٢٨ ؛ فهد ، الصلات الثقافية ، ص٤٨ .

٨٨- عبد الظاهر ، الدعوة الإسلامية غرب أفريقيا ، ص٨١ .

89-TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:139.

٩٠- فوتي أبو بكر ، تاريخ فوتي السنغالية ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة – ١٩٥٦م) ، ص٦ .

91-TAUXIER (Louis) , Op .Cit , P:135.

٩٢- الفيتوري ، عطية مخزوم ، المرجع السابق ، ص٢٨ .

٩٣- حسن ، انتشار الإسلام ، ص٧٤ .

94- Richard (L) : Histoire Du Haut Niger , Paris : Ed Harmattan , 1942 , p:119 .

٩٥- الفيتوري ، عطية مخزوم ، المرجع السابق ، ص٢٩-٣٠ .